الثقة بالله وحســـن الظن به.. طريق الطمأنينة والثبات ووحدة الصف

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي وصية الله للأولين والآخرين، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها المؤمنون:

إن من أعظم ما يحتاج إليه المسلم في أوقات الشدائد وتقلب الأحوال أن يكون قلبه معلقاً بالله، واثقاً بوعده، حسن الظن به، مؤمناً بأن الأمر كله بيده، وأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

إن الثقة بالله ليست مجرد كلمات ترددها الألسن، ولا أمنيات يعيش عليها الإنسان، وإنما هي عقيدة راسخة، ويقين صادق، وطمأنينة في القلب، تدفع صاحبها إلى العمل والأخذ بالأسباب، وتمنعه من اليأس والقنوط والاستسلام للإحباط.

عباد الله:

أولاً: حسن الظن بالله ثمرة الإيمان واليقين

لقد أمرنا الله تعالى أن نحســـن الظن به، وأن نثق برحمته وحكمته وتدبيره، فقال ســـبحانه في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني» متفق عليه.

فمن أحســن الظن بالله أيقن أن رحمة الله واســعة، وأن تدبيره حكيم، وأن ما يقدره لعباده المؤمنين لا يخلو من حكمة، وإن خفيت عليهم بعض وجوهها.

وقال ســبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْـبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَـيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

تأملوا قول الله: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، أي كافيه، ومن كان الله كافيه فلا يضره عجز البشر، ولا تقلبات الظروف، ولا كثرة التحديات.

وقد تجلت هذه الثقة في موقف نبي الله إبراهيم عليه الســـلام حين ألقي في النار، فلم يتعلق قلبه إلا بالله، وفي موقف موســـى عليه الســـلام عندما أدركه فرعون وجنوده، والبحر أمامه، فقال أصحابه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، فقال بكل يقين وثبات: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

فجاء الفرج من حيث لا يحتسب البشر، وانفلق البحر، ونجّى الله موسى ومن معه.

إن دروس هذه المواقف العظيمة تعلمنا أن المؤمن لا يستسلم لليأس مهما اشتدت الظروف، ولا يجعل صعوبة الواقع تحجب عنه سعة قدرة الله ورحمته.

ثانياً: الثقة بالله لا تعني ترك الأسباب

أيها المسلمون:

من الخطأ أن يظن بعض الناس أن التوكل على الله يعني ترك العمل، أو انتظار الفرج دون سعي واجتهاد؛ فالإسلام دين العمل والأخذ بالأسباب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز» رواه مسلم.

تأملوا هذا التوجيه النبوي العظيم: احرص، واستعن بالله، ولا تعجز.

فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين ثلاثة أصول: الحرص على النافع، والاستعانة بالله، والابتعاد عن العجز والاستسلام.

وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسباب في هجرته، وخطط لها، واختار الرفيق، واتخذ الدليل، واختبأ في الغار، مع كمال توكله على الله.

وهذا هو منهج المؤمن: قلبه متعلق بالله، ويده تعمل، وعقله يفكر، وضميره يستشعر المسؤولية.

فعلينا أن نعمل في مواقعنا، وأن يؤدي كل واحد منا واجبه، وأن يتقن الموظف عمله، ويخلص المعلم في رسالته، ويؤدي الجندي واجبه، ويقوم المسؤول بمسؤوليته، ويسهم التاجر في تخفيف معاناة الناس، ويتعاون أفراد المجتمع على الخير والإصلاح.

فلا تنهض الأوطان بالأماني وحدها، وإنما تنهض بالإيمان والعمل والصبر والتعاون.

ثالثاً: النهي عن اليأس والإحباط ونشر الشائعات

عباد الله:

إن من أخطر ما تواجهه المجتمعات في أوقات الأزمات أن يتحول الخوف إلى يأس، والقلق إلى إحباط، والخلاف إلى فرقة، وأن تصبح الشائعات مصدراً للمعلومات، ومنصات التواصل وسيلة لنشر الأخبار دون تثبت أو مسؤولية.

وقد نهانا الله سبحانه عن القنوط من رحمته، فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال سبحانه محذراً من الأخبار غير الموثوقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

فليس كل ما ينشر صحيحاً، وليس كل ما يتداول يستحق النشر، وليس من الحكمة أن نكون أدوات لنقل الخوف والاضطراب بين الناس.

ومن المسؤولية الشرعية والوطنية أن يتحرى المسلم الصدق، وأن يستقي المعلومات من مصادرها الرسمية والموثوقة، وألا يساهم في نشر ما يثير الفتن، ويخدم العدو، أو يهدد أمن المجتمع أو يسيء إلى مصالح الناس.

رابعاً: وحدة الصف والتعاون على حفظ الوطن ومؤسساته ومواجهة مليشيات الحوثي الإرهابية

أيها المؤمنون:

إن من أعظم نعم الله على المجتمعات نعمة الاجتماع والألفة، ومن أعظم أسباب ضعفها التنازع والتفرق.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إن وحدة الصف ليست شعاراً يرفع عند الحاجة ثم ينسى، وإنما هي مسؤولية شرعية وأخلاقية ووطنية، تقوم على التعاون، واحترام الحقوق، وتغليب المصلحة العامة، وإصلاح ذات البين، والالتفاف حول مؤسسات الدولة الشرعية، والقيام بالواجبات تجاه المجتمع والوطن.

وإن مواجهة مليشيات الحوثي واستعادة مؤسسات الدولة، مسؤولية مشتركة لا تخص جهة دون أخرى.

كما أن القيادة السياسية والعسكرية تتحمل مسؤولية عظيمة في هذه المرحلة، ومن واجبها العمل بإخلاص، وتوحيد الجهود، ورعاية مصالح المواطنين، وتعزيز الأمن والاستقرار، وصيانة مؤسسات الدولة.

وإننا إذ نقدر الجهود التي تبذلها القيادة السياسية والعسكرية في مواجهة مليشيات الحوثي الإرهابية، فإننا ندعو الله أن يوفقها إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وأن يعينها على تحمل المسؤولية، وأن يسدد قراراتها، وأن يجعلها عند حسن ظن شعبها بها.

كما نشيد بما تقدمه المملكة العربية السعودية من جهود ومواقف داعمة لليمن وشعبه، وما تبذله من مساعٍ ومساعدات في كل المجالات العسكرية والإنسانية والتنموية، ونسأل الله أن يجزيها خير الجزاء، وأن يوفق قيادتها لما فيه الخير والأمن والاستقرار.

ونستذكر بكل تقدير تضحيات القوات المسلحة والمقاومة، وكل من بذل جهداً أو قدّم تضحية في سبيل حماية الوطن وحفظ أمنه واستعادة مؤسسات الدولة، كما نستحضر صبر الشعب اليمني وصموده، وما تحمله من معاناة وأعباء في ظل الظروف الصعبة.

إن هذه التضحيات تستوجب منا الوفاء، وحفظ الحقوق، ورعاية أسر الشهداء والجرحى، والاهتمام بالمواطنين، والعمل الجاد من أجل إنهاء المعاناة وتحقيق الأمن والاستقرار.

خامساً: الأمل والعمل والصبر طريق تجاوز المحن

عباد الله:

إن تاريخ الأمم يعلمنا أن المحن لا تدوم، وأن الأزمات مهما اشـــتدت فإنها لا تمنع طلوع الفجر، وأن الشعوب التي تتمسك بدينها، وتتوحد كلمتها، وتأخذ بأسباب النهوض، تستطيع بإذن الله أن تتجاوز الصعاب.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

فالمؤمن لا يفقد الأمل، ولا يبيع يقينه بالخوف، ولا يسمح لليأس أن يسيطر على قلبه، بل يواجه الشدائد بالصبر، ويستقبل النعم بالشكر، ويجعل من كل محنة فرصة للمراجعة والإصلاح والعمل.

أيها المسلمون:

إننا بحاجة اليوم إلى ترسيخ جملة من المعاني في نفوسنا:

أننا على الحق ونحن على ثقة بنصر الله القائل: ﴿إِنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم لأشهاد﴾ [غافر: ٥١].

أن نحسن الظن بالله، ونكثر من الدعاء والاستغفار والتوبة.

أن نبتعد عن الشائعات والأخبار مجهولة المصدر وعدم تداولها لما تسببه من إحباط وبث القلق بين الناس، ولما قد تحققه من خدمة للعدو.

أن نحافظ على وحدة المجتمع، ونرفض الفتن والمناطقية والعصبيات.

أن نحترم مؤسسات الدولة الشرعية، وندعم قيامها بواجباتها، ونقدم النصح المسؤول.

أن نقدر تضحيات القوات المسلحة والمقاومة، ونهتم بأسر الشهداء والجرحى.

أن نقدر الجهود والمساعدات المقدمة لبلادنا، وفي مقدمتها جهود المملكة العربية السعودية.

أن يؤدي كل واحد منا واجبه في موقعه، فصلاح الأوطان يبدأ بصلاح الأفراد وإخلاصهم.

فاتقوا الله عباد الله، وأحسنوا الظن بربكم، واعلموا أن الأمل عبادة حين يقترن بالإيمان والعمل، وأن اليأس ليس من أخلاق المؤمنين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضـــى، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من أعظم ما يعين على الثبات في أوقات الشدة صدق اللجوء إلى الله، وكثرة الدعاء، وإصلاح النفوس، والتعاون على البر والتقوى.

أيها المسلمون:

إن الوطن أمانة، وحفظ أمنه واستقراره مسؤولية الجميع، ولا يجوز أن يكون الخلاف سبباً في هدم مؤسساته، أو الاعتداء على حقوق أبنائه، أو نشر الفرقة والعداوة بينهم.

وإن من الوفاء لهذا الوطن أن نعمل من أجل جمع الكلمة، وأن نغرس في أبنائنا الثقة بالله والأمل في المســـتقبل، وأن نعلمهم أن الأوطان تبنى بالعلم والأخلاق والعمل، لا بالشـــائعات والتنازع والإحباط.

ولنتذكر أن حسن الظن بالله لا ينفصل عن حسن العمل، وأن الدعاء لا يتعارض مع بذل الجهد، وأن محبة الوطن لا تكون بالكلمات وحدها، بل بالصدق والأمانة والإخلاص وحفظ الحقوق.

ثم صـلوا وسـلموا على من أمركم الله بالصـلاة والسـلام عليه، فقال سـبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم من أراد بلادنا بسوء فأشغله بنفسه واجعل تدبيره تدميراً عليه.

اللهم عليك بمليشيات الحوثي الإرهابية وخلص اليمن منهم ومن عدوانهم.

اللهم إنا نسألك فرجاً قريباً، ونصراً مؤزراً، وأمناً واستقراراً لبلادنا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم وفق القيادة السياسية والعسكرية لما فيه خير البلاد والعباد، وأعنهم على أداء الأمانة، وسدد خطاهم وقراراتهم، وارزقهم البطانة الصالحة الناصحة التي تدلهم على الخير وتعينهم عليه.

اللهم انصر قواتنا المسلحة في جميع الجبهات، وسدد خطاهم، وارحم الشهداء، واشف الجرحى، وفك أسر المأسورين، واجبر مصاب المكلومين، وارزق أسر الشهداء الصبر والسلوان.

اللهم اجز المملكة العربية السعودية خير الجزاء على ما تقدمه من جهود ومساعدات ومواقف تجاه اليمن وأهله، وأدم على بلاد الحرمين أمنها واستقرارها، ووفق قيادتها لكل خير.

اللهم ارفع عن اليمن البلاء والغلاء والفتن والمحن، وأصلح أحوال المسلمين، وأطعم جائعهم، واكس عاريهم، وآمن خائفهم، واشف مرضاهم، ورد غائبهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

مراجع للاستزادة:

- تفسير القرآن العظيم – الإمام ابن كثير.
- جامع العلوم والحكم – ابن رجب الحنبلي.

- مدارج السالكين – ابن قيم الجوزية.
- رياض الصالحين – الإمام النووي.
- حسن الظن بالله – ابن أبي الدنيا.